الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

ص.ب ١٠٨٥ — تلفون ٢٣/٠١

اصحاب الامتياز

منير البعلبكي ؛ سهيل ادريس ؛ بهيج عثمان

AL-ĀDĀB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban. B.P. 1085

المدير المسؤول : بهيج عثمان

رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

هيئة التحرير

(حسب الاحرف الهجائية)

احمد سليمان الأحمد	قدري حافظ طوقان
علي أدهم	عبد الله عبد الدائم
ذو النون ايوب	مارون عبود
خليل تقي الدين	ابراهيم العريض
جورج حنا	عبدالله العلايلي
شاكر خصباك	توفيق يوسف عواد
رئيف خوري	نبيه امين فارس
عبدالعزيز الدوري	شكري فيصل
قسطنطين زريق	نزار قباني
احمد زكي	صباح محيي الدين
نقولا زيادة	انور المعداوي
وداد سكاكيني	نازك الملائكة
فؤاد الشايب	عبد الحميد يونس

بات من الممل المضجر ان نقول (بعدما قيل ذلك عشرة آلاف مرة او نحوها) : ان الادب العربي يعاني اليوم أزمة ، إن لم تكن خانقة بحيث تقضي عليه فوراً ، فهي مرهقة له اشد الارهاق بحيث اذا استمرت صعب علينا ان نتصور له معها حياة وما لا حياة الا به اي نمواً وازدهارا .

ويلتمس هؤلاء الذين يعنيهم مصير الأدب العربي (وكلنا من هؤلاء!) يلتمسون العلل والاسباب لهذه الازمة المنكرة ، ففريق يذهب الى ان السبب انما هو ثقل تكاليف العيش بحيث يجد الأديب العربي نفسه مضطرا الى الاشتغال برغيفه اكثر من اشتغاله بعمل الأدب وتجويده . وفريق ثان يصر على ان السبب انما هو اهمال الحكومات العربية واجبها في تشجيع الأدب والأدباء واعفائهم من هذا القلق المضني من أجل لقمة تمسك ارماقهم وارماق عيالهم . وفريق ثالث يرى العلة كل العلة في القراء وفي الثقافات غير القومية التي نبيحها لهؤلاء القراء بحيث أصبحوا راغبين عن الكتاب العربي مقبلين على الكتب الأجنبية .

نسينا عدوّاً للأدب !

بقلم رئيف خوري

وفريق رابع يلح على ان العلة انما هي في هذا الطلاق الواقع بين الأدباء وهموم المجتمع بحيث قبع ادباؤنا في ابراجهم العاجية ، يدورون في حلقات مقفلة ضيقة من انانياتهم ، لا يكترثون للشعب وحقوقه وما تموج به اعماقه في معركة الحياة والحرية من آلام واحلام واتراح وافراح .

وثمة لو شئنا ان نمضي في العد ، فريق خامس وسادس وسابع ؛ ولكل فريق سبب وعلة يفسر بها الازمة المحيقة بالادب العربي اليوم وكثيرا ما ينتهي من ذلك التفسير الى نظريات مطولات في الادب كيف يصح ان يكون وكيف لا يصح ان يكون .

وهذا كله — وليأخذني القارىء بحلمه — قد صار من الممل المضجر بعدما قيل عشرة آلاف مرة أو نحوها . فعلام إذاً نعيد ذكره هنا ؟ ذلك لنستنتج ان هذه العلل والاسباب كلها التي أصبحنا نفسر بها ازمة الأدب العربي اليوم ، على رجاء ان نتمكن في ضوئها من معالجة الازمة تسقط من الحساب حقيقة أولية بسيطة تقترن بالأدب ولا تنفك عنه ، حقيقة قديمة بلغ بها القدم أن نسيناها ، وبلغ من نسيانها أن أصبحت تبدو كالجديد .

إذا اثرناها ، الا وهي ان الصنيع الأدبي ، وسواء منه ما كان نظم شعر او ارسال نثر ، صنيع فني من الدرجة العليا لأن غايته ليست الانتفاع باستعماله ماديا كالقماش الذي يحوكه الحائك ويخيطه الخائط ثوبا ، بل غايته الجمال والانارة وما يلحق بالجمال والانارة من غبطة وتعرف للحقائق ونشوة هي حظ الروح وقسمة العقل ونصيب الذوق .

ومذ كان الصنيع الأدبي فنيا فأن له اصولاً تتعلق بآلته التي يصنع بها او تتعلق – حسب التعبير الدخيل الذي غلب على استعمالنا اليوم – بالتكنيك ، فليس ممكناً ان يجاد صنيع ادبي الا باجادة هذا التكنيك الأدبي الذي قد تختلف فيه المذاهب والآراء ولكن مرجعها كلها الى البراعة في انتقاء اللفظ لمواضعه ، وفي سبك الجمل بحيث تبلغ المعنى بقوة ونصاعة ، وفي اتقان قواعد الفنون الأدبية من المقالة القصيرة والمقطعات الغنائية الغزلية او غيرها الى الكتب الطوال في التراجم والسير والقصص والروايات والنقد الأدبي والملاحم والمسرحيات الشعرية والنثرية وما الى ذلك من باقي اغراض الأدب واشكاله .

ومعلوم ان اجادة التكنيك الأدبي يحتاج الى أناة وطول مواصلة ومراس . واذا صح ان ثمة في التاريخ القديم عصرا كان يرتجل فيه الأدباء شعرهم ونثرهم ارتجالاً ، فيبدع اولئك الأدباء ابداعا ويروعون قارئهم وسامعهم بما يبدعون : فان عصرنا هذا لم يؤهلنا لشيء مثل ذلك الارتجال فكيف الابداع والروعة ؟ إننا في عصر تنطبق عليه قاعدة من قال : العبقرية صبر طويل !

ومع ذلك فقد اصبحنا ونحن نكاد نرتجل اعمالنا الأدبية ارتجالاً ، والارتجال يفرض علينا السرعة وايثار السهولة ، والسرعة وايثار السهولة يوائمان هذه المنابر التي اصطفاها لنا عصرنا لنشر الادب ، عنيت الصحيفة والمجلة والمذياع . فلا يخطر لنا موضوع نعالجه ، او لا يطلب منا ان نعالج موضوعا ، الا ونقدم على ذلك في الحدود التي تحتملها السرعة ويحتملها ايثارنا للسهولة وتناسب خير مناسبة صحيفة سيارة او مجلة خفيفة او اذاعة ترهية . واذا بنا لا نكاد ننتج من الأدب الا المقالة القصيرة نرسلها تعليقا مقتضبا على موضوع سياسي ، او اجتماعي او ادبي ، وكثيرا ما نجتر انفسنا في هذه التعليقات اجترارا لا آخر له . وإذا بنا لا نكاد ننشيء إلا المقطع الغزلي ذا الأبيات المعدودات ، أو القصة القصيرة . ثم إذا بنا لا نكاد نرى انه قد حصل بين أيدينا طائفة من تلك المقالات او المقاطع او القصص حتى نضم بعضها الى بعض في غلاف ونسمي ذلك كتابا او ديواناً . وهكذا يوشك ان لا يكون لنا من الأنتاج الأدبي إلا مجموعات لا تكاد تحتاج الى تأليف .

فاما الرواية الطويلة ، واما المسرحية من شعرية ونثرية ، واما الملاحم والسير المنشأة انشاء فنياً والدراسات الموسعة المعمقة ، فكل تلك لا تجد من يتصدى لها (إلا قلائل يجب استثناؤهم فيما يتعلق بالدراسات التي يهيئونها أطاريح لنيل الشهادات الجامعية) . فاذا سألت عن سبب هذا التخلي والقصور سمعت ترديدا لتلك العلل والأسباب التي يفسرون بها أزمة الأدب العربي اليوم ؛ سمعت نعياً على الادباء انهم منقطعون عن الشعب ، ونعياً على الحكومة انها لا تكترث بالأدب والأدباء ، ونعياً على القراء انهم ينصرفون إلى الكتب الاجنبية ، ونعياً على هذا المجتمع سوء أحواله الاقتصادية وأوضاعه الاجتماعية بحيث يستغرق وقت الاديب في تحصيل خبزه . سمعت هذا النعي كله ، ولكنك لم تسمع قط ان الرواية الطويلة ، والمسرحية الشعرية والنثرية والملاحم والسير المنشأة انشاءً فنياً والدراسات الموسعة المعمقة ، كل تلك تحتاج إلى طول ممارسة لاتقان التكنيك ، والى طول نفس في التأليف بناءً وهدماً واعادة بناء ، وهذا كله لا يتفق وما قد غلب على ادبائنا من السرعة وايثار السهولة .

ان الوقائع لتشهد بأن الأزمة التي يعانيها الادب العربي اليوم ليست بأزمة كمية بل انها أزمة نوع وقيمة . فقراء العربية يقرأون اليوم بل هم يزدادون عددا ويزدادون نشاطاً في القراءة . وادباء العربية ، برغم تهاون الحكومات في اداء واجبها للادب ، وبرغم انهماكهم في كسب المعاش ، وبرغم انزوائهم في الابراج العاجية وانقطاع أكثرهم عن الشعب ، كما يقال ، يكتبون اليوم وينظمون ويترجمون ويجدون فوق ذلك كله متسعاً من الوقت للكسل قد لا يجده أدباء غيرهم من أهل الارض . فالمصيبة ليست في أنهم لا يكتبون ولا ينظمون ولا يترجمون بل في أنهم يسرعون في ذلك كله اسراعاً ، ويستحبون السهولة ، لا يعيرون التكنيك الادبي ، ماهو حقه من الاهتمام ، ولا يصبرون على معاناة الفنون الادبية الصعبة كالمسرحية والرواية الطويلة ، وما يساق هذا المساق ، ولا يطيقون شيئاً من تلك المحاسبة للنفس وتلك المشقة التي تفرضها على الاديب الحق جماليّة الادب ورسوليته . فتراهم لا يقدمون لنا الا الانتاج الفطير ، فيما نحن نلتمس الانتاج الخمير الذي لا يسد جوع الادب الاه .

ألا تباً للسرعة ! تباً لايثار السهولة والكسل ! فانها باتت عدوا خطرا على الادب العربي اليوم ، ولعل أشد خطوها في أنها توشك أن تصبح عدواً منسياً .

رئيف خوري